مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد11 / العدد: 02 (2021)، ص 1130 -1147

معطيات تاريخية وأثرية لمنطقة تازا ونواحيها في الفترات القديمة

Historical and archaeological data on the region of Taza and its surroundings in ancient periods.

بكاي لخضر [1]، بويحياوي عزالدين [2*]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، bakkaisamir@yahoo.com

[2] جامعة الجزائر2، معهد الآثار (الجزائر)، azadhadara57@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/06/17 تاريخ القبول: 2021/05/25 تاريخ النشر: 2021/12/28

ملخص:

يهدف البحث الأثري الى ابراز حقائق ميدانية ذات صبغة علمية هامة ويساعد في إيجاد آليات تسمح للباحثين في مختلف الحقول العلمية الوصول الى خصوصيات الآثار المستخرجة من باطن الارض على أساس أن كل ما يخرج من تحت الأرض فهو مصدر جديد للمعرفة، إن متطلبات العمل الميداني تفرز إشكاليات كثيرة تعنى بجرد ودراسة المادة الأثرية وصيانتها مما يؤكد أهمية إعادة توجيه سياسة البحث الأثري في الجزائر، خاصة أن بعض المعالم والمواقع المردومة أو البارزة منها هي الآن في خطر. فإذا دافعنا على موقع أثري أو منطقة أثرية بأكملها فهذا يعني أننا ندافع على الوحدة الأثرية أو التواصل الثقافي او ما يعرف أيضا بالتسلسل التاريخي، ولنا في منطقة تازا ببرج الأمير عبد القادر بولاية تيسمسيلت مجال جدير بالدراسة يشخص هذه الإشكاليات ويبرز الأهمية التاريخية للمنطقة من خلال مواقعها التاريخية والتي سنعرض منها هنا ما يعود للفترات القديمة، ويكفي أن نشير هنا إلى أن المواقع الأثرية التي سنعرضها لم ترد في أطلس ستيفان قزال من جهة ولم يشر إليها مطلقا في منظومة الدفاع الرومانية "الليمس"، بل حتى شواهدها المادية لا تزال مجهولة الملامح.

كلمات مفتاحية:

الآثار.، مواقع.، جرد.، الليمس.، عمارة.، تازا.، تسيمسيلت.

* **المؤلف المرسل:** بكاي لخضر، **الإيميل:** bakkaisamir@yahoo.com

Abstract:

The archaeological research aims to highlight the facts of the field of important scientific nature and help find mechanisms to allow researchers, in various Scientific fields, access the peculiarities of the archeological findings extracted from the ground on the basis that everything that comes out of the underground is a new source of knowledge. The requirements of this work field result in many problems dealing with inventory, study and maintenance of archaeological material, which confirms the importance reorienting the archaeological research policy in Algeria, especially since some of the landmarks or sites that are damaged or prominent are now in danger. So Our motive on an archaeological site or an entire archaeological area means that we defend the archaeological unity or cultural communication or what is also known in the historical sequence, we have in the Taza area of Prince Abdelkader Tower in the Wilayat of Tissemsilt a worthy field of study that diagnoses these problems. It highlights the historical importance of the region through its historical sites from which we will show here what dates back to the old periods, and suffice to point out here that the archaeological sites to be presented did not appear in the Atlas of Stefan Gsell on one hand and never mentioned in the Romanian defense system The "touch", and even its physical evidence is still unknown.

Keywords:

Archaeology ; Sites ;Inventory ; Boundaries; architecture; Taza; Tissemsilt.

- **مقدمة:**

سمح لنا بحثنا البيبليوغرافي وعملنا الميداني بمنطقة تازا بالتعرف على خصوصيات المنطقة التي تشكل مادتها العلمية الواقعة ضمن المواقع الرومانية الجبلية التي لا يزال البحث متواصلا فيها، والهدف من هذا العرض الأولي هو محاولة معالجة فضاء المنطقة أثريا خلال فترة ماقبل التاريخ وفجر التاريخ إلى الفترة القديمة، وسد التغرة تاريخيا لكون هذه المواقع الأثرية التي سنعرضها تجعل البحث في الحقل الأثري وباقي العلوم الاجتماعية ذات الصلة يعبر عن الاستمرارية وليس القطيعة ويؤكد التكامل بين البحث الأثري والدراسات التاريخية بعيدا عن الإيديولوجيا الاستعمارية، إذ أكدت لنا تحرياتنا بالمنطقة من خلال الجرد والسبر والاستطلاع بأننا لا نستطيع الاكتفاء بالدراسات القليلة الصادرة في الفترة الاستعمارية، بل يجب استحداث آليات جديدة للبحث الأثري الميداني عامة

وبمنطقة تازا خاصة، إن المحاور الثلاثة التي سنعالجها وهي الوضعية الطبيعية- المعلومات التاريخية - المعطيات الأثرية - ستسمح مستقبلا إذا ما تم سبر مناطق معينة، إيجاد أجوبة أكثر ومعارف أدق بدل الاكتفاء بإعطاء تاريخ بسيط فقط، وعليه فإننا نهدف من خلال المعطيات الثلاثة المذكورة أعلاه إلى التعرف على منطقة تازا ثم التعريف بها في شكل معطيات أثرية ستجيب عن بعض الإشكاليات من جهة وسوف تطرح الكثير من الفرضيات كون المنطقة جديدة في حقل البحث الاثري الميداني.

1. الوضعية الطبيعية:

يتبين من خلال الإحداثيات الجغرافية (35.51° شمالا و 2.15° شرقا) أن منطقة تازا تقع بالقسم الغربي للجزائر بولاية تيسمسيلت حسب التقسيم الإداري لشهر جانفي 1985 والتي يحدها من الشمال والشمال الغربي ولايتي عين الدفلة وغليزان، ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية تيارت وغليزان أيضا، ومن الشرق والجنوب الشرقي ولايتي المدية والجلفة، وبهذا التحديد فإن منطقة تازا تعتبر من المناطق الداخلية التي تربط بين ثلاث ولايات وهي عين الدفلى و تيسمسيلت والمدية، وتبعد عن مقر ولايتها بحوالي 85 كلم شرقا، وتقدر مساحتها بـ 201.00 كلم^2، يحدها شمالا بلدية طارق بن زياد – ولاية عين الدفلة- وغربا بلدية ثنية الأحد واليوسفية - ولاية تيسمسيلت- وجنوبا بلدية البواعيش وشرقا بلدية دراق - ولاية المدية - ويقطعها الطريق الوطني رقم 60 الرابط بين بلدية قصر البخاري - المدية- وثنية الأحد - تيسمسيلت- (Ministère .5-6.) ، واستنادا إلى الخريطة الطبوغرافية للمنطقة فإن تازا تعد امتدادا شرقيا لسلسلة جبال الونشريس، و تعلو عن سطح البحر بـ 1102م. وأعلى ارتفاع بها يصل إلى 1804م يمثله جبل الشاون في جهة الشمال ويقابل هذا الأخير جبل أم الروس بـ 1100م عن مستوى سطح البحر ، (أنظر الخريطة رقم 01). وهذان المرتفعان يحصران ربوة واسعة، وقد نجد تفسيرا لهذه الوضعية الطبيعية وتكوينها البنيوي أصل التسمية "تازا" حيث يشترك موضع تازا بهذا التكوين التضاريسي، والتي تعني الممر بين جبلين. (Belkassem, 1887.LXXXVII) ولتازا معان وتسميات أخرى، يكفي الإشارة هنا إلى البعض منها وهي كالتالي: يسميها البعض تازا الصحراء لتمييزها عن تازا المغربية"،(اسكوت،1981، 102). ومنهم من يسميها-تازة- بالتاء المربوطة، ويقال لها طازة وتيزي".(قدور،1968، 76).

تتميز منطقة تازا أيضا بوجود أنماط بنيوية تنتمي إلى الزمن الجيولوجي الثاني وتحديدا الكريتاسي الأسفل، مع العلم أن هذه المنطقة خرجت نهائيا من الشروط البحرية منذ نهاية الزمن الثاني وبداية الثالث، وهذا ما يفسر الانتشار الواسع للتكوينات المايوسونية والبليوسينية القارية(Ficheur, 1900, 575.).وقد هيأت لها الظروف الطبيعية شروط الاستقرار وتشهد على ذلك الكثير من النصوص التاريخية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ماذكره غارسان (Garcin) بقوله أن تازا تكثر فيها الغابات، وبها منبع مائي غزير في الجهة الشمالية من الموقع الذي اختاره الأمير عبد القادر لبناء الحصن(Emerit, 1951, 291.) ، وماورد بين ثنايا رسالة النقيب دوماس(Daumas) التي بعث بها إلى

الجنرال راباتيل (Rapatel) بتاريخ 14 ماي 1838م بقوله مايلي: " تقع تازا على سفح جبل حصين منحدر، جنوب شرقي معسكر، وعلى بعد يومين منها، يجري في سفحه نهر".(Yever, 1912, 192.) وبها جبال صخرية متفاوتة الانحدار تتراوح ما بين 3 و25%، وتصل نسبتها في بعض الجهات إلى 30% وهذا ما يجعل مفعول التعرية حادا بالمنطقة لذا تصنف تازا ضمن المناطق الجبلية المنحدرة، وهذه الخاصية تعد إحدى العوامل الهامة في اختيارها كموقع عسكري طيلة سيرورتها التاريخية، وهذا لا يعني عدم وجود غطاء نباتي بالمنطقة إذ يقدر هذا الأخير بحوالي 2.995.11 هكتار، مثلما أشار إليه غارسان سابقا. (Agence Nationale, 10-11) باعتبار أن الناحية الشمالية من منطقة تازا التي تنتمي إلى جبال الونشريس الشامخة(Mattaoueur, 1958,19.) التي يحددها موريس متاور في دراسته لجبال الونشريس بأنها سلسلة جبال متصلة من بوغار حتى غليزان، اي من نهر الشلف شرقا إلى وادي مينة غربا مؤطرة بسلسلة جبال التيطري شرقا وبجبال بني شقران غربا، طوله 250 كلم، أعلى قمة بالونشريس هي "كاف سيدي عمر" التي ترتفع عن مستوى سطح البحر ب1983م، (Lizot, 1973.18.) ، فإن السلسلة الموجودة منها بتازا تتشكل من حلقات متفاوتة الارتفاع تمتد من جبل سرا آكر في الحدود الغربية لبلدية دراق -ولاية المدية- إلى غاية جبل مقرة بثنية الحد، وبين هذا وذاك توجد جبال مطماطة التي تعد الحصانة الطبيعية لمجمل المنطقة(Ficheur, 1900, 560) ، والجدير بالملاحظة أن أول من قام بدراسة طبوغرافية لمنطقة تازا وتحديدا طبوغرافية جبل مطماطة أو الشاون هو فيشر وكان ذلك سنة 1900، وهي دراسة جد هامة تعرض من خلالها إلى التكوينات البنوية للمنطقة والمشكلة من كتلة صخرية تمتد من حدود منطقة دراق شرقا إلى تازا غربا على النحو الآتي: طبقة من الطين والحجر الرملي الصواني ثم حجر رملي صواني ثم طمي رمادي وطين ثم حجر رملي وكلسي وطين ثم طين رمادي وأزرق يعود لفترة الآبتين الأعلى وطمي وحجارة رملية وكلس رملي وقاعدة طينية.

بما أن جبل الشاون يمثل الحصانة الطبيعية للمنطقة محل الدراسة، وأنه كان سببا مباشرا في استقطاب مختلف الحضارات التي مرت على منطقة تازا بما يحتويه من منابع مائية غزيرة وكثافة غابية كان قد أشار إليها فيشر بشكل دقيق ومفصل فسنقوم بعرض مختصر جدا لأهم تكويناته البنيوية من الشرق إلى الغرب على النحو التالي: جبال تكون حزاما فيما بينها حاصرة بذلك حوضا يسمى "وادي اللوز" الذي يلتقي بوادي الدردور، ويستمر امتداده على شكل نتوءات في اتجاهين مختلفين، الأول يمتد حتى "عين السمطة" والثاني يتجه صعدا نحو وادي" كركور"، وعلى بعد (500م) من هذا الأخير توجد ربوة تسمى كدية "تابتسيف" (Coudiat Tabetsif).

- جبل تاشتة (Ta-cheta): وهو ثاني مرتفع بهذه السلسلة يعلو عن مستوى سطح البحر ب 1782 م، يربط بينه وبين جبل سراآكر جبل الزريب المقدر ارتفاعه عن مستوى سطح البحر بـ 1391م، ويمتد جبل تاشتة إلى غاية بلدية البرواقية بولاية المدية، إذ يقل ارتفاعه كلما اتجهنا غربا حتى أسفل جبل عيواش. وبهذا الحاجز فهما يحصران أيضا سهلا واسعا بينهما، إذ يتوفر على منابع

مائية غزيرة وأودية هامة نذكر منها وادي سيدي سالم وتيغزيرت اللذان يصبان في وادي تازا أسفل جبل الشاون.

- جبل الشاون (Ech-chaoun): يمثل أعلى مرتفع يطل على منطقة تازا، إذ يبلغ علوه عن مستوى سطح البحر بـ 1804م، يتميز بكثرة وتنوع نتوءاته التي تتراوح ما بين 1766م و 1368م وهذا بداية من جبل الحجر شمالا حتى جبل سيدي بولنوار غربا، تتوفر فيه عدة منابع مائية غزيرة أهمها منبع رأس الجبل والتينوة، كما تتخلله أودية ذات مياه معتبرة على سبيل المثال وادي الغزلان وشملالة. (Ficheur, 1900, 560) وللإشارة فإن معظم الأودية التي يحتويها هذا الأخير تصب في وادي تازا عبر انكسار طبيعي يمثل فتحة في جبل الشاون وتصل مياهه عبر وادي تازا إلى وادي فم الحمام، وفي أعالي هذا الجبل توجد المراكز العسكرية الرومانية التي سنتحدث عنها لاحقا، كما يوجد في أسفله موقع تازا الأثري وموقع عين أشير ورأس تازا.

- جبل عيواش (Ay-oiche): يبدأ من نهاية المساحة السهلية الواسعة الموجودة بينه وبين جبل تاشتة المذكور سابقا ويأخذ ارتفاعه في التدرج صعدا إذ يبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر بـ 1671م وينعطف انحدارا إلى غاية غابة بومجبر وتحديدا عند الحدود الغربية القصوى لجبل فم الحمام، وتتخلل جبل عيواش أودية عديدة أبرزها وادي فم الحمام الذي ينفرد بكثرة وغزارة المنابع المائية(Ficheur, 1900, 560) ، وهو قريب جدا من الموقع الأثري لتيحمامت. (أنظر الشكل رقم (01 و02).

رغم أن الناحيتين الشمالية والشمالية الغربية تمثلهما جبال مرتفعة وشديدة الانحدار بنسب متفاوتة، فقد تم فيها استقرار البشرية بداية من مرحلة النيوليتيك حسب المعطيات التي تتوفر لدينا حاليا وأيضا بناء مراكز دفاعية رومانية متقدمة، أما في الناحيتين الجنوبية والجنوبية الغربية فنجد عكس ذلك، إذ تتميز بمساحات سهلية معتبرة، وبها منابع مائية، وتمثل هذه الناحية منطقة "الفرشة" وسيدي احمد بن علي والسرسو.

2. منطقة تازا الأثرية قبل الفترة الرومانية:

انطلاقا من الوضعية الطبيعية أعلاه، وبحكم انتماء تازا إلى المواقع الممتدة عبر سلسلة الونشريس الزاخرة بمخلفات أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ، فقد شهدت استقرارا بشريا وحركة فنية منذ وقت مبكر، وتتمثل هذه البقايا في الصناعات الحجرية والرسومات الجدارية العائدة إلى النيوليتيك بمغارة عين العنصر (Ain el -Ansser) التي اتخذها إنسان ذلك العهد ملجأ له كما هو الحال بالموقع الأثري بعين الصفا الموجود عند المدخل الجنوبي لمقر ولاية تيسمسيلت والذي تمت معاينته من طرف فرقة بحث من طرف معهد الآثار سنة 1998م (علي، 1981، 2) ، كما أنها قد عرفت استقرار إنسان فترة فجر التاريخ ويؤكد ذلك الكثير من الشواهد المادية في موقعين أثريين، الأول يسمى رأس تازا (Cap de Taza) من طرف بعثة أثرية سنة 1981 وفيه تم اكتشاف قطع حجرية يفترض حاليا أنها

مخصصة لدفن عظام الأموات بعد حرقها على غرار ما وجد بالعديد من المدن القديمة، وهي قبور للسكان المحليين القدماء تعرف باسم البازينا (أو ما يعرف أيضا بالجثوات)، (أنظر الصورة رقم:03) وبداخل القبر تم العثور على هيكل عظمي لإنسان وضحن بين رجليه وتحديدا عند الحوض تقريبا، ونظر لوجود عدة مسامير على يمين ويسار الهيكل العظمي يعتقد أن هذه المسامير كانت لتابوت. لكن عدم وجود ولو قطعة صغيرة من الخشب جعلت فرقة البحث الأثري تشك في هذا الاعتقاد.

أما الموقع الأثري الثاني فهو عين أشير(Ain Achir) اكتشف أثناء عمل الباحث بكاي لخضر عندما كان يحضر لرسالة الماجستير وفي الوقت نفسه موظف بالوكالة الأثرية، وهذا الموقع غير بعيد عن الأول، ويحتوي هو الآخر على قبور البازينا تعود لفترة فجر التاريخ، ومن المؤكد انه استمرار لموقع رأس تازا لأنه يحمل نفس خصائصه.(أنظر الصورة رقم 01 و02).

3. المعطيات التاريخية حول الفترة الرومانية:

عندما ننظر إلى مكانة تازا في التاريخ القديم يواجهنا بصفة مستمرة سؤال ملح، كيف كانت تازا في القديم وفي أي عصر ظهرت؟

حسب المعطيات التاريخية والنصوص والوثائق الموجودة بين أيدينا فإن مدينة تازا في العهد القديم - الفترة الرومانية تحديدا- لم تكن مدينة كبيرة لها وزنها الاقتصادي والسياسي، ولم نكن نعتقد أن المدينة كانت موجودة قبل القرن الأول الميلادي إلى أن تم اكتشاف نقد يعود إلى هذه الفترة خلال أعمال التنقيب بموقع حصن تازا (عزالدين،2014،77). أما بالنسبة للقرنين الثاني والثالث للميلاد فتشهد عليهما المسكوكات الرومانية المكتشفة بالمواقع الأثرية تيحمامت وعين أشير وموقع حصن تازا (عزالدين،2015،56) ، وبالموازاة مع هذا فليست لدينا معلومات كافية حول التركيبة الاجتماعية للمنطقة بين الجالية العسكرية الرومانية وأهالي المنطقة من البربر أي السكان الأصليين للمنطقة، ومن الأدلة العلمية أن تازا كان يقطنها الأمازيغ أو البربر هو كثرة الأسماء الأمازيغية بها، على سبيل المثال لا الحصر: تيحمامت، تيغزيرت،آغبال، إيشاون، قبيلة مطماطة، بلال، حتى اسم تازا فهو أمازيغي ويعني :الممر بين جبلين، كما سبق وأن أشرنا إليه، هذا من الناحية اللغوية أما من الناحية التاريخية فلا ندري في أي سنة أطلق عليها هذا الاسم، فكل ما لدينا عبارة عن وثائق تؤكد على الشواهد المادية والتي تعود إلى فترة لاحقة وتحديدا إلى بداية القرن الثامن للميلاد، فقد ورد اسم تازا في نص الرحالة فايست الذي زار المنطقة بعد سقوط حصن الأمير عبد القادر بها، بحوالي عشرين سنة، والذي ذكر مايلي:" في أسفل الهضبة التي بنى عليها الأمير عبد القادر حصن تازا وفي مستوى قليل الانحدار بمقربة من الوادي نشاهد آثار المدينة القديمة لتازا التي أسست في سنة 700هـ /1302م من طرف الأمير جعفر بن عبد الله، وهذا بدليل ما عثر عليه في كتابة تأسيسية نقشت على لوحة من الحجر، نقرأ عليها مؤسس المدينة وتاريخ تأسيسها المذكورين سابقا، ونقلت هذه اللوحة إلى ثنية الحد، وبصفة عامة فالآثار الموجودة بهذا الموقع ذات أصل عربي لها طراز مماثل لمعالم مدينة تلمسان غير أنها

في حالة مندثرة تماما"(Vayessette,1862,.22-24) ، كما اكد ذلك أيضا باتورتي (Patorni) في النص التالي: "كان يوجد بموقع تازا الذي بنى فيه الأمير عبد القادر قلعته، مدينة عربية مندثرة تسمى ثازا أو تازا (Thaza-Taza) (كذا) والتي أسست منذ ثلاثة قرون خلت (أي القرن16-17م)....،عثر على لوحة حجرية نقش عليها باللغة العربية كلمة - ثازا -Thaza وهي تتوسط شريطا كتابيا يحمل آيات من القرآن ".(Patorni,1889,67) وبدون الولوج في الجدال بين النص الأول والثاني فإن ما نؤكده هنا أن اسم تازا الأمازيغي قد ظل مستمرا حتى الفترة الإسلامية بالمنطقة بل وإلى يومنا هذا، مما يؤكد أصالة المنطقة.

كما لم تكن تازا مدينة رومانية مثل باقي المدن المعروفة خلال القرن الثاني، بل مركزا عسكريا مهما خلال القرن الثالث، وتحديدا أثناء حكم كل من قسطنطينيوس الأول (306 –337) وقسطنطينيوس الثاني (337–361) وليكينيوس (307 – 323)،حسب الشواهد المادية التي سنعرضها لاحقا، وقد تم تشييده عند أسفل جبل ايشاون، وقد أكد ذلك الكثير من النصوص التاريخية، نذكر من بينها ما ورد في ملحق كتاب مارسيل ايميريت من المذكرة الثانية لغارسان (مرسيليا:2 أكتوبر 1840) حيث يقول: " تازا حصن مشيد على انقاض مدينة رومانية تقع في مقاطعة مطماطة على بعد مسيرة يوم واحد من بوغار." (Emerit, 1951, 285.) أيضا باتورني في إطار وصفه لحصن تازا الذي شيده الأمير عبد القادر ويذكر: "حصن تازا بني على أنقاض عمران روماني وهذا الأخير كانت تظهر بعض آثاره التي غطيت أو ردمت بأسس منشآت قلعة الأمير عبد القادر"(Patorni,1889,67.) ، ما يمكن استقراؤه من النصوص التاريخية أعلاه هو أن موقع تازا القديمة أو المركز العسكري المحصن هو نفسه الذي أعيد استغلاله في فترات لاحقة ابتداء من القرن الثامن للميلاد ثم الرابع عشر فالتاسع عشر، ما يؤكد الاستمرارية الوظيفية له عبر التاريخ، مثلما عرفته المنطقة ككل من فترة ما قبل التاريخ مرورا بفجر التاريخ إلى الفترة القديمة.

4. المعطيات الأثرية حول الفترة الرومانية:

بالموازاة مع النصوص التاريخية فإننا نجد الشواهد الأثرية على كثرتها تؤرخ لهذه الفترة الهامة من تاريخ الجزائر عامة وتازا بصفة خاصة وتؤكد لنا الكثير من المعلومات حولها، وأولى المكتشفات الأثرية ترجع إلى الفترة الإستعمارية، و تحديدا سنة 1843م، من خلال الأعمال الميدانية لبربروجر (Berbrugger)، في مقال له بالمجلة الإفريقية، ولو أنه قد أشار فقط إلى أربعة مواقع أثرية رومانية بتازا، على النحو التالي: موقع سينالفن Synelfen موقع عين الرباط Ain Errebat موقع عين تازاAin Taza موقع آغبال Arbel(.Berbrugger,1884,423) موقع الملاعب M'llab، مع الإشارة هنا إلى أننا استطعنا تحديدها على الخريطة الطبوغرافية لتازا، اذ كلها تقع في الناحية الشمالية المنطقة.

يمكن القول أن هذه المعطيات الأثرية الهامة تشير إلى أولى الملامح العمرانية العامة لتازا خلال الفترة الرومانية، مايؤكد طابعها العسكري من حيث موقعها الاستراتيجي في المنطقة الشمالية الجبلية لتازا، وهذا ما يفسير لنا بأن المواقع الأثرية الأربعة أعلاه هي مراكز عسكرية متقدمة أو مراكز مراقبة

لحماية المركز العسكري وهو "تازا" – وهذا طبيعي خاصة إذا علمنا بأن منطقة تازا ككل تقع ضمن حدود الخط الثاني لليمس الروماني كما وضحه كورتوا وسلاما. (أنظر الجدول رقم 01 و02)، وأن المركز العسكري المتقدم "هبيرنا الاسيبا ستينا"Hiberna Ala Szbastinas المسمى قرية أولاد هلال يلامس حدود تازا، ويعبر المراكز العسكرية لتازا، ويمر من خلال" بربيوزيتوس ليميتانيس كلومنتانسيس" Praepositus Limitanis Collumnatensis وهي عين تكرية الواقعة حاليا بدائرة خميستي بولاية تيسمسيلت، حتى كولمناطا Columnata ونقصد بها موقع سيدي الحسني بتيارت، مايعني بأن تازا تقع بالقرب من شبكة هامة للطرق القديمة لموريتانيا القيصرية خاصة الطريق الممتد من بوغار إلى Boghar تيارت (.Courtois, 1955, 79)(Salama, 1951,).(أنظر الخريطة رقم04 و05).

الجدير بالذكر هنا أيضا أن أثناء العمل الميداني بتازا ما بين سنتي 2004و 2007 عثرنا على موقع أثري لم يكن معروفا من قبل، وقد تم ذلك أثناء موسم الحرث بالمنطقة، إذ وجدنا جزءا من هيكل رحى حجرية بهذا الموقع المعروف باسم تيحمامت Tihamamet وقمنا بإنجاز بطاقة تقنية عنه وتم نقله إلى متحف البلدية، وفي نفس الفترة عثرنا على موقع ثان، لم يرد لا في أطلس غزال ولا في المراجع أعلاه، ويسمى عين أشير وهو قريب جدا من المركز العسكري "تازا" تمثلت مكتشفاته السطحية في بقايا قطع فخارية وآثار لفرن وبعض أسس بناية، حيث تم إعداد ملف أثري قصد تصنيفهما، ويمكن اعتبار هذا اكتشافا جديدا يضاف إلى الأطلس الأثري للمنطقة. بفضل الباحث لخضر بكاي وزارهما الأستاذ عزالدين بويحياوي وأكد صحة الاكتشاف.

بمناسبة الملتقى الوطني الأول المعروف ب"جلسات تازا "، التي تم من خلالها إنشاء متحف مؤقت بالبلدية والتأكيد على ضرورة اعداد مشروع حفرية بموقع تازا، قد قدم للمتحف أحد أفراد مقاطعة تيحمامت وهو السيد زبوج عبد القادر قطعا نقدية برونزية عثر عليهم هناك وتركهم عنده لغاية هذه المناسبة وعددها أثنتا عشرة ، وآخر يعد من السكان القدماء بمقاطعة عين أشير وهو السيد بوهراوة محمد وعددهم ثمانية وكلهم من البرونز وهي مودعة حاليا بالمتحف البلدي لتازا، وقد حاولنا من خلال ما اتضح لنا من بعضها وضع تأريخ للمنطقة حسبما قدمته لنا قطع مقروءة ومؤرخة مابين نهاية القرن الثاني والثالث للميلاد، نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض من تلك القطع النقدية، بالنسبة لموقع تيحمامات: القطعة (أ) تعود إلى حكم الإمبراطور ليكينيوس(307–323م).تحمل في الوجه صورة تمثال نصفي مكلل ومدرع إلى اليمين، حوله شريط كتابي يحمل العبارة التالية(IMP PLCIVS PF AVG). وفي الظهر صورة الإله ماركور عاري واقف إلى اليسار وحوله شريط كتابي يحمل الكتابة التالية(SOLINV I CTOCOMITI)، في حين أن القطعة (ب) تعود إلى حكم الإمبراطور قسطنطينيوس الأول (306–337م). تحمل في الوجه صورة تمثال نصفي مكلل ومدرع إلى اليمين حوله شريط كتابي يحمل العبارة التالية (IMPCONSTANTINVS PF AVG)، وفي الظهر صورة

لمعبود الشمس وهو نصف عاري ورأسه مشع واقف إلى اليمين رافعا يده اليمنى وماسكا كرة بيده اليسرى، وفيما يخص موقع عين أشير، فتعود القطعة (أ) إلى حكم الإمبراطور قسطنطنيوس الثاني (337–361م) تحمل في الوجه صورة تمثال نصفي مجوهر متوج وملبس إلى اليمين، حوله شريط كتابي يحمل العبارة التالية(DN CONSTANTINIVS PF AVG)، وفي الظهر صورة إمبراطور هازم الفارس الذي هو في حالة سقوط كاملة من الحصان وسلاحه ورائه وحوله شريط كتابي يحمل العبارة التالية: (FELTEMPR-EPARATIO)، والقطعة (ب) تعود لحكم نفس الإمبراطور السابق ووجهها يشبه سابقتها كذلك، أما الظهر ففيه صورة إمبراطور يهزم فارس ويطعنه برمحه، حوله شريط كتابي يحمل نفس العبارة الموجودة في ظهر القطعة السابقة. (أنظر الصورة رقم 02: أ وب)

ما نؤكده هنا من خلال هذين الموقعين الأثريين والنماذج المعروضة من شواهدهما هو أن كل من موقع تيحمامت وعين أشير يقعان في الجهة الجنوبية السهلية لتازا على عكس المواقع الشمالية الجبلية التي وردت في جرد بيربروجر، مايعني أن المركز العسكري الروماني "تازا" والذي سيكون مركز مقاومة خلال فترة الأمير عبد القادر محاط بشبه دائرة بمراكز مراقبة، وهذا مايؤكد أهميته العمرانية والوظيفية معا، وربما حتى الرمزية ضمن منظومة الدفاع الرومانية "الليمس"، هذا من جهة، ومن جهة ثانية يعني وجود قوة مقاومة من طرف السكان المحليين، وإلا كيف نفسر وجود سبعة مراكز متقدمة تحمي المركز العسكري "تازا" وكلها تبعد هذا الأخير بمسافة تتراوح بين 1 كلم و15 كلم، وبقدر ما مكنتنا تلك العملات حسبما قدمته لنا قطع مقروءة من بعضها وضع تأريخ للمنطقة خلال الفترة الرومانية والمؤرخة فيما بين306-361 ميلادية، بقدر ما طرحت إشكالية جرد الآثار المادية الثابتة منها والمنقولة بتازا والتي تستوجب معالجة الخريطة الأثرية للمنطقة وفتح ملف نقاش حول الظروف السوسيوتاريخية التي أحاطت بالمواقع الأثرية بعد الاستقلال.

نستطيع في هذا الإطار ضرب مثال على ذلك بمناسبة افتتاح جلسات تازا السابق ذكرها ،فقد قدم السيد منقار عبد النور هو كذلك للمتحف البلدي مسكوكات كان يمتلكها وتعود لفترة الأمير عبد القادر اثنان محمديتان ضربتا في تاقدمت وواحدة نصفية ضربت في معسكر، وهذا الشخص كان يسكن في الحي الفوضوي الذي عمر بعد الاستقلال على أنقاض حصن تازا الذي أسسه الأمير عبد القادر في جوان 1838، بعد عمليات تخريب لاحقة تمثلت في استغلال الموقع بمساكن فوضوية عمت كل مساحة الموقع، فطرأ عليها عدة تغييرات جراء عمليات البناء الفوضوي مما شوه بعض معالم الأسوار المهدمة الموجودة هنا وهناك، وقد أدى هذا التغيير الذي لحق بالموقع أيضا إلى فقدان العديد من معالمه الأثرية الباقية، وبالتالي شوه مخططه الأصلي.

ما يؤكد لنا أهمية هذه المواقع الأثرية التي عثرنا عليها بتازا من جهة، وكونها معرضة للزوال من جهة ثانية، وبالتالي فهي في حالة خطر كمعالم ثابتة أو كآثار مادية منقولة، ونفس المعطى يقال حول الموقع الأثري الثالث الذي تم اكتشافه خلال زيارة فرقة بحث أثرية لتازا والتي كان يرأسها السيد

علي خلاصي - من 28 إلى 30 مارس 1981- واكتشاف موقع "رأس تازا" المذكور أنفا، والذي يقع أسفل المركز العسكري الروماني المحص "تازا" أو موقع حصن الأمير عبد القادر حاليا، حيث اسفرت هذه الزيارة الاستطلاعية على نتائج جديدة في حقل الأبحاث الأثرية وخصت فترة فجر التاريخ التي سبق ذكرها والفترة الرومانية ،إذ يذكر خلاصي حول هذه الفترة الأخيرة مايلي: " وفي يوم 28 مارس 1983 اتجهنا أيضا إلى عين المكان – أي رأس تازا" - وفي طريقنا لاحظنا بعض قطع السجلي تحت سلاسل الجرار الذي كان يهدم مجموعة من القبور فأمرناهم بالتوقف عن العمل بحضور السادة منسق القسمة ورئيس المجلس الشعبي البلدي ورئيس الدائرة وقائد الدرك الوطني، وخوفا من تهديم القبر الذي أظهر عددا معتبرا من شقف الفخار السجلي عبارة عن صحن أحمر قطره 0,29 م، وارتفاعه 0,04م فحملناه إلى المديرية قصد دراسته."(أنظر الصورة رقم 01 (أ،ب،ج).(علي، 1981،2) (Bouyahiaoui (A.) Et autres, 1998.13-41.).

يجعلنا نص خلاصي نؤكد على أهمية المنطقة في الفترة الرومانية، ويحيلنا إلى توسيع البحث حول إحداثيات موقع تازا المحصن خلال الفترة الرومانية داخل المثلث الواقع بين عين أشير وموقع تازا - المركز العسكري المحصن- ورأس تازا، وإذا كان موقع تيحمامت وعين أشير عبارة عن فضائين فلاحيين مفتوحين قد يسمحا لاحقا بتسوية وضعيتهما القانونية وأنهما يحملان شواهد مادية فإن موقع رأس تازا قد شهد ضياع مادته العلمية سواء تلك المرتبطة بفترة فجر التاريخ كما أشرنا أو تلك التي تؤرخ للموقع الروماني الذي يعود للقرن الرابع الميلادي المتمثلة في السجلي (أنظر الصورة ب).

هذه الحقائق الميدانية المتمثلة في وجود مواقع أثرية تحمل شواهد مادية هامة تجعلنا نبقى في حالة تساؤل عند تصفحنا للمواقع الأثرية الموجودة في أطلس ستيفان قزال، بل تجعلنا نطرح ملف نقاش حول إعادة النظر في تتبع مرتكزات الخط الدفاعي الروماني

5. نتائج حول المعطيات الأثرية الأولية بمنطقة تازا:

تظهر الأهمية التاريخية لمنطقة تازا كحقل أثري جديد في البحث العلمي في التسلسل التاريخي لها واستمرارية فضائها في الفعل الحضاري، كما تظهر أهميتها الأثرية في تعدد مواقعها وتنوعها الزمني في جغرافية واحدة، قد بدأ البحث في دراستها الجيولوجية والطبوغرافية بداية من سنة 1900، في حين ان معطياتها الأثرية بدأت سنة 1843، لينقطع البحث الأثري بالمنطقة إلى غاية إنجاز مذكرة ليسانس سنة 1999تحت اشراف أ.د./ الدكتور عزالدين بويحياوي والذي باشر عمليات التنقيب في الموقع ابتداء من سنة 2001. وفي سنة 2006 أنجز لخضر بكاي رسالة ماجستير حول المنطقة عامة وأضاف معلومات قيمة. ، غير أن كل المعلومات التاريخية المرتبطة بها خلال فترة ماقبل التاريخ وفجر التاريخ وكذا الفترة القديمة على ندرتها لم تكن من مصادر تاريخية أو نصوص ووثائق عاصرت الفعل السياسي والتأسيس العمراني بل هي شهادات لقادة عسكريين وإداريين ورحالة أثناء مقاومة الأمير عبد القادر للاستعمار الفرنسي، وعليه فإننا نفتقد للنصوص الأصلية حولها، وبالتالي يبقى مجال الجرد

والاستطلاع والسبر والتحري وحده الكفيل بهذه الاكتشافات التي ما فتئت تظهر هنا وهناك على تراب المنطقة، يكفي أن نذكر هنا ما قدمته الحفريات الأثرية بتازا طيلة عمل فرقها من نتائج هامة تشمل الفترة القديمة بشواهدها المادية وهياكلها العمرانية والمعمارية. (عزالدين، 2012،48)

لذا يمكننا القول بأن هذه المعطيات الأولية التي قمنا بعرضها من خلال هذا المقال ستفتح مجال البحث الأثري سيما منه ما ارتبط بثقافة إنسان فترة العصر الحجري الحديث بعين العنصر، ومنه مقارنة ذلك بموقع عين الصفا بتيسمسيلت وبموقع سيدي الحسني بتيارت وموقع قرطوفة، كما سوف يشمل هذا البحث خصوصيات العمارة الجنائزية بمنطقة تازا خلال فترة فجر التاريخ خاصة بمنطقة "رأس تازا" وما ارتبط بذلك من معتقدات دينية في هذه الفترة، كونها تمثل فترة نشوء المجتمعات المغاربية المنظمة، وقد سماها بعض الأثريين "هامش التاريخ". وقد يهدف البحث المنشود إلى محاولة معرفة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي المركز خاصة دراسة استصلاح الأراضي وتجهيزها وشبكة الري القديمة في موقع عين أشير ورأس تازا وتيحمامت، ومنه الخروج عن الرؤية الأحادية لمنظومة الليمس في ادبيات الفترة القديمة، وكذا معالجة علمية للعلاقات مابين المناطق المختلفة وخاصة مابين الأودية الداخلية أو مابين السهول والجبال، أي بين موقع عين الرباط وسينالفين وعين تازا وأغبال الواقعين في الجهة الشمالية وموقع عين أشير ورأس تازا وتيحمامت على الجهة المقابلة ومنه إعادة النظر في المنظومة العسكرية الرومانية عمرانيا وتاريخيا، ولا يتم كل هذا أمام انعدام الوثائق إلا بالعمل الميداني بفتح ملف نقاش جاد حول مشروع وضعية الجرد الشامل بين الهيئات الوصية على التخطيط والتهيئة العمرانية والبحث العلمي.

للإشارة فقد تم نشر مقالات حول حفرية موقع حصن تازا اكدت وجود مرحلية تاريخية متميزة وهامة جدا منها ما يعود إلى الفترة الرومانية ومنها ما يعود إلى الفترة الإسلامية الوسيطة وأخرى تؤرخ للفترة الحديثة والمعاصرة، وتمثلت هذه الآثار في الهياكل المعمارية والمسكوكات والخزف والزجاج والمعادن.

حظي موقع حصن تازا بمكانة هامة في كتاب "آثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر" يؤكد أهمية المرحلية التاريخية للمنطقة كلها. (عزالدين وآخرون، 2016)

6. الخاتمة:

بعد العرض الذي قدمناه قصد التعريف بالمراحل التاريخية لمنطقة تازا وبالخصوص الفترات القديمة تبين أن الدراسات التاريخية والأثرية، على حد سواء، لم تفصح عن كل مكوناتها المرتبطة أساسا بالتعمير البشري. حاولنا قدر الامكان تقديم الأدلة المادية ذات الصلة بالمعطيات التاريخية المستقاة من المصادر والمراجع التي أولت اهتماما بمنطقة تازا، خاصة تلك التي تعود إلى الفترة الاستعمارية.

لقد ركزنا نوعا ما على الفترة الرومانية كونها مرحلة حاسمة في تكوين العمران بعمائره المختلفة وأنها ماتزال تمثل طبقة هامة مليئة بالآثار المتنوعة. أما عن موقع حصن تازا فقد بينت الحفرية المنتظمة من 2001م إلى 2017م واقع الاستمرارية التاريخية، حيث دلت المكتشفات عن آثار رومانية وإسلامية وسيطة وأخرى عثمانية لتنتهي بآثار حصن الأمير عبد القادر الذي يعود إلى 1838م.

نأمل أن تتواصل عمليات الاستكشاف والتنقيب لإثراء السجل التاريخي لمنطقة تازا ومن خلالها لكل من ولاية تيسمسيلت خاصة والجزائر عامة.

7. الملاحق:

الخريطة 1: خريطة طبوغرافية منطقة تازا.

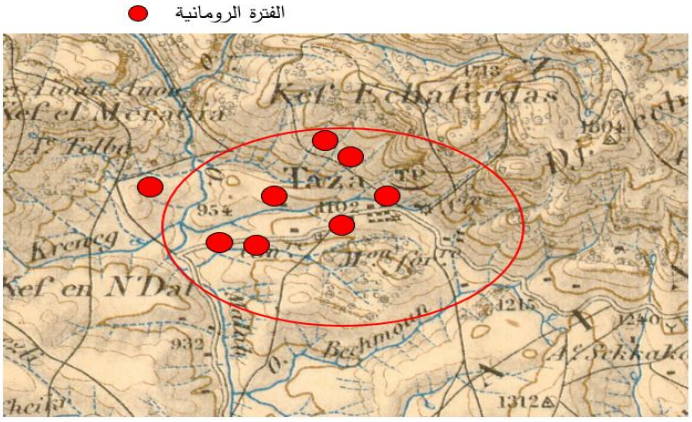

المصدر: قزال بتصرف

الشكل 1: التكوين البنيوي لسلسلة جبال مطماطة. (عن فيشر)

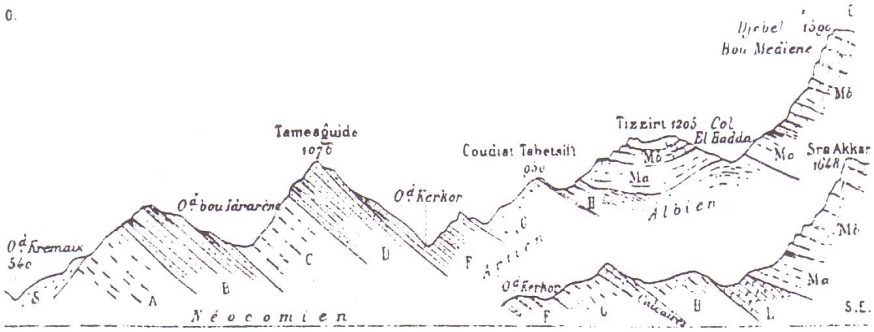

المصدر: فيشر،1900،ص. 575

الشكل 2: التكوين البنيوي لجبل الشاون.

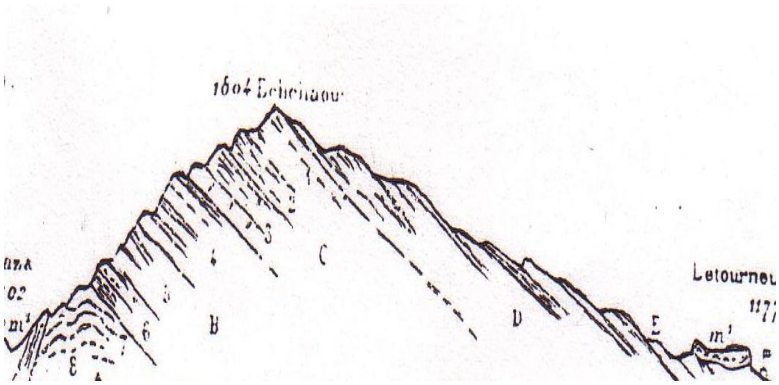

المصدر: فيشر،1900،ص.575

الجدول 1: مرتكزات الخط الدفاعي الثاني.

01	سيلاص	Cellas	الخربة الزرقة
02	ماكريس	Macris	هنشير الرمادة قرب مقرة
03	زابي	Zabi	بشلغا قرب المسيلة
04	أرامس	Aras	تارمونت
05	تاتيلتي	Tatilti	تعراس
06	غريميدي	Crimidi	عين قريميد
07	عين توتة	/	/
08	أوزيناز	Usinaza	صنق
09	بوغار	Boghar	/
10	هيبرنا الاسيبا ستينا	Hiberna Ala Szbastinas	قرية أولاد هلال
11	دراج	/	/
12	بريبوزيتوس ليميتانيس كلومنتانسيس	Praepositus Limitanis Collumnatensis	عين تكرية
13	تهرت – سيدي الحسني-	Columnata	كولناطا
14	مقر فرقة بريوكوروم	Cohors Preucorum	/
15	مقر كتيبة ملياريا	Ala Miliaria	بنيان
16	لوكو	Lucu	تيمزيوين
17	كابوت تزاكورا	Caputasaccura	سيدي علي بن أيوب
18	التافا	Altava	أولاد ميمون
19	بوماريا	Pomaria	تلمسان
20	مقر اللفيف السوري	Numerus Syrorum	مغنية

المصدر: شنيتي

الجدول 2: إحداثيات المواقع الأثرية لمنطقة تازا.

الموقع	المسافة عن مقر البلدية	الفترة التاريخية	الإحداثيات	
			شمال جنوب	شرق غرب
عين العنصر عين العنصر	12 كلم	ع. حجري.ح	3974,5 – 3974	424,5 – 424
الملاعب	03 كلم	ق.4.م	3969- 3971	438 - 436
عين أشير	1,5 كلم	فجر التاريخ	3964,7 – 3965,6	438 - 436
عين أشير	1,5 كلم	ق.3.م	3964,7 – 3965,6	438 - 436
رأس تازا	1 كلم	فجر التاريخ	3964,8 – 3965,5	336- 435
رأس تازا	1 كلم	ق.4.م	3964,8 – 3965,5	336- 435
تازا المدينة المحصنة	1 كلم	ق.4.م	3964,8 –3965,5	336-435
تيحمامت	5 كلم	ق.3.م	3969,5 –3970,3	430 -430,5
سينالفين	10 كلم	/	3976,2 –3977,5	428 -427
عين تازا	11 كلم	/	3974,5 –3974	425,5 –425,3
أغبال	1,5كلم	/	3974,5 –3974	425,5 -425,3
عين الرباط	15 كلم	/	3974,5 -3974	421 -420

المصدر: بكاي.ل

الخريطة 3: موقع تازا من الخط الدفاعي الثاني في الفترة الرومانية. ○

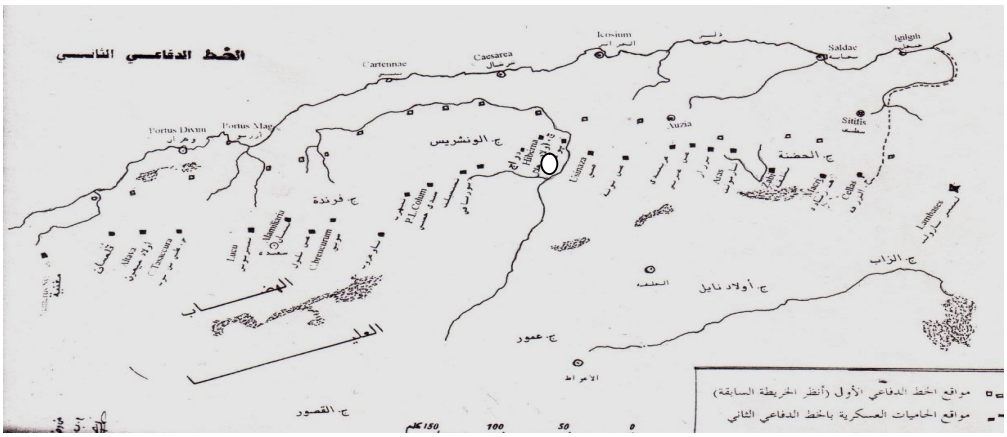

المصدر: شنيتي بتصرف

الخريطة 4: موقع تازا من الطرق والمنشآت العسكرية في موريطانيا القيصرية." ق 4م

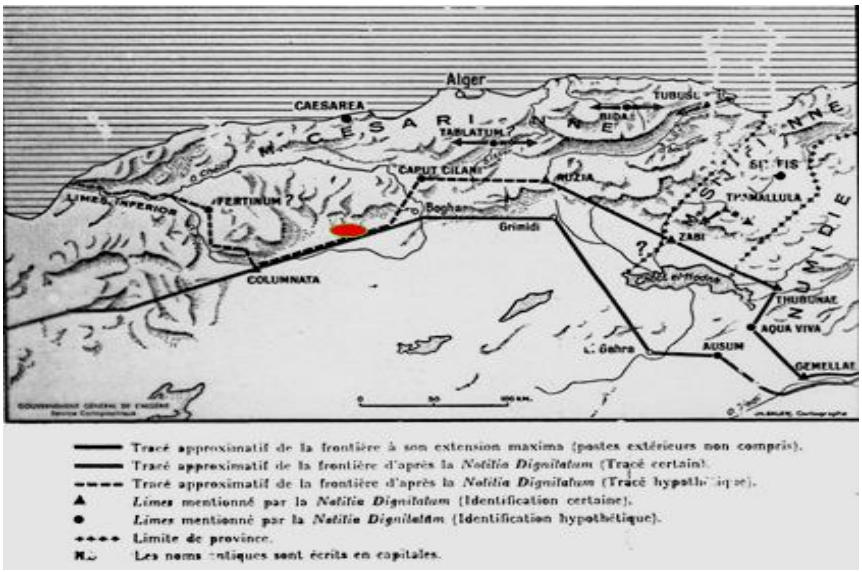

المصدر: سلاما و كورتوا،1951.

الصورة 1: بعض مكتشفات الموقع الأثري برأس تازا.

- (أ) القبر بعد تنظيفه - (ج) جزء من عمود حجر - (ب) الصحن الموجود بين رجلي الهيكل العظمي.

المصدر: خلاصي، 1981، ص،2.

الصورة 2: نماذج من العملات الرومانية.

	" موقع تيحمامت".		"موقع عين آشير".	
	الوجه	الظهر	الوجه	الظهر
(أ)				
(ب)				

المصدر: بكاي.ل

المراجع:

1. اسكوت (الكولونيل)، مذكرات الكولونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر"1841"، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت.، الجزائر،1981.
2. عزالدين بويحياوي وآخرون، آثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر، سلسلة المشاريع الوطنية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الآمال للطباعة والنشر والتوزيع، 2016.
3. قدور(ابن رويلة)،وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ويليه ديوان العسكر الملياني، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن. ت، الجزائر،1968.
4. عزالدين بويحياوي، حصن تازا، حدث تاريخي وواقع أثري. أبحاث، منشورات دار الثقافة لولاية تسيمسيلت، 2012، ص.48.
5. عزالدين بويحياوي، نبذة عن تسيير المكتشفات الأثرية بموقع حصن تازا.أبحاث، العدد03، منشورات دار الثقافة لولاية تسيمسيلت، 2014، ص.77.
6. عزالدين بويحياوي، نبذة عن تسيير حفرية تازا ببرج الأمير عبد القادر وأهم مكتشفاتها من 2011-2014.أبحاث، العدد04، منشورات دار الثقافة لولاية تسيمسيلت، 2015، ص.56.
7. علي (خلاصي)، "مهمة إلى ولاية تيارت دائرة ثنية الأحد، برج الأمير عبد القادر"، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، وزارة الثقافة، 1981، ص،1-15.
8. Belkassem (B. S.), Dictionnaire de la Langue Kabyle, Alger, 1887.
9. Courtois (Ch.), Les vandales et l'Afrique, édition, Arts Métiers Graphiques, Paris, 1955.
10. Emerit (M.), l'Algérie à L'époque d'Abd el Kader, édition la rose, Paris, 1951.
11. Ficheur (E.), Le Crétacé Inférieur dans le massif de Matmata (Algérie), Bulletin de la Société Géologique de France, T. XXVIII, Paris, 1900.
12. Lizot (j.), Mitidja un village Algérien de l'Ouarsenis, S.N.E.D, Alger, 1973.
13. Patorni (F.), l'Emir El Hadj A.E.K., Règlements Militaires, Imprimerie Fontana et compagne, Alger, 1889.
14. Salama (P.), Les Vois Romaines de l'Afrique du Nord, éd, Imprimerie Officielle, Alger,1951 .
15. Yever (G.), Correspondance du Capitaine Daumas, (Consul à Mascara–1837- 1839), Paris, 1912.
16. Agence Nationale pour l'Aménagement du Territoire, (Wilaya de Tissemesilt), Plan d'Aménagement de la Commune de Bordj el A.E.K, P .2.
17. Berbrugger (A.), " Miliana ", Revue Africaine, n°08, 1884, Paris, P.423.
18. Bouyahiaoui (A.) Et autres, " Prospection Archéologique à Tissemsilt", Revue Recherches, Université d'Alger, n°05, Alger, 1998.PP 13-41.
19. Mattaoueur (M.), " Etude géologique de l'Ouarsenis oriental –Alger-", Publications du Service de la Carte Géologique l'Algérie, n°. 17, Alger, 1958, P.19.
20. Ministère de l'Intérieur des Collectivités Locales et de l'Environnement ; Atlas des Limites Administratives Communales de La Wilaya de Tissemsilt, PP.5-6.
21. Vayessette,"de Boghar à Tlemcen", Revue Africaine, n°06, 1862, P.P.22-24